إحدى مآسي الزواج المبكر

الزوجة (الطفلة) انتحرت أمام أسرتها وشقيقها انتقم لها بقتل الأب

الأسرة/ عادل بشر

احتارت الأم المسكينة هل تذرف دموعها على ابنتها التي ماتت أمام عينيها أم على زوجها المقتول برصاص ابنه البالغ من العمر 17 عاما.

بين أيدينا قضية شهدتها إحدى المناطق الريفية القريبة من العاصمة صنعاء وتحكي سطورها مأساة أسرة بأكملها كان السبب فيها عادات وتقاليد مجتمعية ظالمة وقانون ضائع بين دهاليز مجلس النواب منذ سنين .. زهور هي إحدى ضحايا ظاهرة الزواج المبكر في اليمن .. لم تكن قد أكملت عامها الـ(13) حين ابلغها والدها أنها بعد ثلاثة أسابيع ستُزف عروسا لشخص يكبرها بثلاثين عاما..

لم تستطع زهور أن تقول لوالدها (لا) فقد تربّت هي وجميع إخوانها الستة (ولدان وأربـع بنات) على السمع والطاعة وعدم اعتراض كلمة الأب ولو كان فيها الموت..

اكتفت زهور بالدموع فذنبها الوحيد أنها خُلقت وسط أسرة وضعها المادي صعب، وفي مجتمع لا يحترم فيها الكثير من الآباء رأي الفتاة، ولا يهتمون للمخاطر الصحية التي تتعرض لها الفتيات صغيرات السن بسبب زواجهن في ذلك العمر..

كان والد زهور يعمل بالأجر اليومي لدى احد التجار المعروفين في منطقتهم .. ورغم السعة في الرزق التي منحها الله لهذا التاجر إلا انه لم يكن سعيدا في حياته كونه لم يُرزق بالابن وكل خِلفته كانت بنات .. فتزوج بالمرأة الأولى وبالثانية وبالثالثة وكانت النتيجة ثماني فتيات جميلات ومع ذلك ظل في قلب الأب حسرة على الابن الذي لم يمنحه إياه الله من زيجاته الثلاث.

وفي ذات يوم اسود ذهبت زهور إلى والدها خلال عمله في محل يملكه التاجر إياه بغرض اخذ بعض المواد الغذائية للمنزل فشاهدها صاحب العمل وأعجب بها .. واختمرت في رأسه فكرة الـزواج بفتاة صغيرة السن قد تنجب له الولد المنشود.. ثم تقدم لخطبتها رسميا من والدها مستغلا الديون الكبيرة له لدى الأب وكذلك حاجة والد زهور للعمل عند هذا الرجل..واتفق مع الأب أن يتم عقد القران والزفاف في يوم واحد وبعد شهر فقط من الخطبة.

انشغلت الأم وبناتها بالتحضير السريع لليوم الموعود بينما ظلت زهور تندب حظها العاثر وتتمنى لو أنها لم تُخلق ولم تر عيناها النور.

مضت عجلة الزمن مُسرعة وحَـلّ موعد الزفاف في ليلة غابت عنها النجوم وخلال أقـل من ساعة وصـل موكب العروس إلى منزل العريس واستقبلتها ضرائرها الثلاث وبناتهن بالزغاريد المغشوشة والابتسامات الزائفة وبمجرد إن دلفت رجلها إلى الغرفة المخصصة لها شعرت زهور بأن20 عاماً من عمرها المستقبلي قد أطبقت دفعة واحدة على جسدها الطري.

بعد أسبوع من الزفاف أخذها زوجها في رحلة إلى المدينة لقضاء شهر العسل واعتقدت زهور أنها كانت مخطئة في أمر الزواج ولكنها بعد انقضاء شهر العسل عادت مع زوجها الكهل لتستقر وسط جحيم زوجاته الثلاث اللاتي استغلين عدم ظهور علامات الحمل عليها في إذلالها والتشفي من زوجهن وإيصال رسالة غير مباشرة له بأنها فتاة إمعة ولا تصلح لأن تحمل وتلد نظرا لبنيتها الضعيفة ..مع مرور الشهر الثاني دون حدوث حمل بدأ القلق ينتاب الزوج الكهل فأخذ زوجته الطفلة وذهبا لعمل فحوصات طبية في احد مستشفيات المدينة وهناك اخبره الأطباء بأن الفتاة ليس فيها أي إشكالية فيما يخص الحمل وان الأمر لا يتعدى عن كونه مسألة وقت فقط..ولكنهم نصحوه بعدم الاستعجال في حمل الفتاة بهذه السن لأن في ذلك خطر على صحتها وصحة الجنين.

عاد الزوجان إلى القرية ووجدت زهور نفسها من جديد في منزل الجحيم خصوصا وان ضرائرها الثلاث زاد حقدهن عليها حين علمن بأنها لاتعاني من أي مشكلة صحية تمنعها من الحمل.. في نفس الوقت لم يعمل الزوج بنصيحة الأطباء ويحاول تأخير الحمل بل إنه كان أكثر استعجالاً في الحصول على الابن المنشود وفي كل مرة تأتي (الدورة الشهرية) لزهور ينهال عليها زوجها الكهل بالضرب والشتم والإهانة مبديا ندمه بالزواج منها.. فيما تعاملها زوجاته كخادمة لهن بالمنزل بحجة تعليمها أعمال البيت كونها جاءت من منزل والدها لا تعرف من أعمال البيت سوى الأشياء العادية والبسيطة .. أيضاً كانت الزوجة الطفلة تجهل طريقة التعامل مع الزوج بحنكة وعقل في أفراحه وأتراحه وحتى حين كانوا لوحدهم في المدينة كانت زهور تظل صامته في حضرة زوجها الذي ترى فيه شخصية والدها شديد القسوة.

وكل ذلك كان يعود عليها بالسوء من زوجها .. وكل ما حاولت زهور إن تلوذ بأسرتها من جحيم الـزوج الكهل ونسائه الثلاث كان والدها يستقبلها بوجه مقلوب ويرفض حتى الاستماع لشكاويها أو النظر للجروح التي على جسدها جراء ما تتعرض له في تلك الأسرة .. ويجبرها على الرجوع من حيث جاءت..

بعد نصف عام من الزفاف حدث الحمل وحين بلغ الجنين شهره الخامس أصر الزوج على معرفة نوعه فاخذ زهور إلى المستشفى وهناك كانت الصدمة وجُن جنونه بمجرد أن أخبرته الطبيبة إن زهور حامل بطفلة وليس ولد كما كان متوقعاً .. ووصل الأمر بعد أن عادوا إلى المنزل لدرجة مد يده عليها وضربها وهي حامل وكأنها هي من اختارت جنس الجنين وليس الله سبحانه وتعالى.

في الجهة الأخرى كان الوضع الصحي للفتاة سيئا للغاية واثر فيها الحمل بشكل كبير .. فجاءها المخاض في الشهر السابع من الحمل وخرجت الطفلة إلى الحياة بوضع صحي مؤسف لتفارق الحياة بعد سويعات من مولدها ولم يعبأ احد بصحة الأم وحالتها النفسية السيئة نتيجة الحمل والولادة في ذلك السن..

وفي أحد الأيام استأذنت زهور زوجها بالذهاب لزيارة والديها وأخذت معها دون أن يعلم أحد عُلبة ممتلئة بالسم القاتل وحين وصلت جوار منزل أسرتها نادت والدها الذي اخرج رأسه من النافذة ينظر إليها بينما والدتها وإخوانها كانوا في سطح المنزل.. ففتحت زهور سدادة علبة السم وقالت لوالدها أنت حكمت عليّ بالإعدام وعمري (13) عاما وأنا الآن أنفذ الحكم ثم أفرغت محتوى علبة السم كاملة في جوفها ..

صرخ الجميع وهم يشاهدون زهور تسقط على الأرض تنازع الحياة ثم هرعت الأم إليها تحملها وتضمها وتطالب بإسعافها ولم تمر سوى لحظات حتى فارقت زهـور الحياة .. وبينما كان أفراد الأسرة متجمعين حول الفتاة يصرخون ويبكون ظل الأب في غرفته مصابا بالذهول وفجأة سمع الجميع صوت طلقات نارية من غرفة الأب، وحين هرعوا إلى هناك وجدوه ملقى على الأرض مضرجا بدمائه وأمامه يقف ابنه البالغ من العمر 17 عاماً حاملاً مسدساً بين يديه ويقول انتقمت لزهور من هذا الظالم..

تم دفن الفتاة ونُقل شقيقها إلى السجن ليقضي عقوبة السجن بعد أن اجتمعت أسرة والده بأكملها وسامحوه على فعلته .

انتحار زهـور رسالة لكل الآبـاء والأمهات وللمجتمع بأكمله بأن الزواج المبكر مأساة يدفع ثمنها الجميع..

نهج القراءة المبكرة ومجالات النمو لدى التلاميذ

(1-1)

■ سعيد عبدالواسع شجاع الدين

> من المهم التأكيد على أن نهج القراءة يأتي في وقت مهم من عمر استراتيجية نهج القراءة المبكرة "اقرأ واتعلم" والمرحلة المقصورة هي مرحلة الإعداد، وتحديداً إعداد المعلم تزويده بالمهارات التي تساعده على تدريس القراءة لتلاميذ الصف الأول من مرحلة التعليم الأساسي، أي أن العامل الزمني ذو أهمية بالنسبة لهذه الدراسة، إذ أن مشكلة القراءة لدى الفئة المستهدفة من التلاميذ، طُرحت في توقيت زمني مهم، وتأتي أهميته في كون الاستراتيجية التي تنعقد عليها الآمال مكون نمطي يفترض أن يضطلع كل طرف من الأطراف المعنية بتنفيذ الاستراتيجية، بمسؤوليته، وبحسب ما يشير إليه الخطاب الرسمي المسوق للاستراتيجية، اجتماعياً، فالمعلم هو طرف رئيسي ستنمو على يديه هذه الاستراتيجية، وتطرح ثمارها، الأمر الذي الذي يساعد على الاجابة عن السؤال الذي تطرحه هذه الدراسة وهو: هل تعمل استراتيجية نهج القراءة "أقرأ وأتعلم" هل تعمل على تحقيق أهداف النمو: "المعرفي - اللغوي - الجسمي والحركي - الوجداني - الاجتماعي" من خلال موجهات الدخول إلى النهج؟

للإجابة على السؤال السابق سيعتمد الباحث على كتابي "دليل المعلم" و"كتاب التلميذ" وفي السياق تسليط الضوء على البيئة التي ولد فيها نهج القراءة، وصولاً إلى ابراز النقاط المحورية للنهج وهي:

-1 لماذا النهج
-2 كبار المدربين
-3 مدربو المعلمين
-4 المعلم
-5 التلميذ

أولاً- لماذا النهج:

يكشف الخطاب الرسمي الراعي للنهج "نهج القراءة المبكرة" أقرأ وأتعلم" أن النهج هو ثمرة للتعاون الإنساني بين المجتمع اليمني، ممثلاً بوزارة التربية والتعليم، وبين الشركاء المانحين كما يسميهم وزير التربية والتعليم الدكتور عبدالرزاق الأشول، الذي تحدث - في مقدمة دليل المعلم - مبيناً أهمية برنامج نهج القراءة المبكرة قائلا: «كما أشكر الشركاء المانحين "الوكالة الأميركية للتنمية الدولية "said" ومؤسسة البنك الـدولي "wb"والمؤسسة الألمانية للتعاون الـدولي "GIZ" لدعمهم برنامج نهج القراءة المبكرة "أقـرأ وأتعلم" ومشاركتهم بدعم تطبيق هذا البرنامج".

أمـا عن مـبررات النهج والتفكير فيه فقد جاء لمواجهة مشكلة القراءة، بعد أن اخفق اليمن في نتائج اختيارات عالمية مثل اختبار "تمس"، فخرج علينا معدو النهج مؤكدين أن أمة القراءة تمر بأزمة، حتى أن مظاهر هذه الأزمة واضحة للعيان، ولا تخفى على كل ذي بصيرة، فولدت الاستراتيجية على أيدي المعدين الذين تشير اليهم قائمة الأسماء في بداية كل كتاب، وهي مجموعة من أهل الاختصاص، هـذه المجموعة «الحلقة»

من المهم الاشـارة إلى أنها على تواصل مع الواقع «حيث لا تزال الاستراتيجية في طور التجريب، يقول المؤلفون: «ولقد حرصنا على أن نستوعب ملاحظات الأخوة الزملاء التي نتجت عن تطبيق نهج القراءة المبكرة في العام السابق، كما أن مجموعة الاعداد تمضي قدماً على طريق ترسيخ الاستراتيجية من خلال اشتراكها في تدريب كبار المدربين، الذين تم تكريمهم في حفل اختتام برنامج تدريب رسمي، حضره قيادة وزارة التربية والتعليم، وممثلو الشركاء المانحين.

ثانيا- كبار المدربين:

هم الفئة التي تقع عليها إيصال محتوى نهج القراءة المبكرة بواسطة التدريب إلى فئة أخرى، في أيام تدريب تحددها الجهة الراعية، كما أن عملهم لا ينتهي عند هذا الحد، بل يستمر باب عطائهم مفتوحاً، ليتم إشراك هذه الفئة بعملية المتابعة المستمرة للمعلمين طوال فترة التنفيذ الميداني، وما يليها، أضف إلى أن الحديث عن مجال النمو المهني للعاملين في تنفيذ النهج من مدربين لا يقف عند حد ما ذكر، فالخطاب الموجه إلى هؤلاء يحمل في طياته الوعود المحفزة على النمو المهني من خلال اغتنام الفرص المتاحة أمام المدربين لتطوير مهاراتهم، وليس أدل من تنمية مهارة البحث غير الوحيدة في طريق الامتيازات المغرية للعاملين على النهج من كبار مدربين ومدربي المعلمين والمعلمين، وغيرهم.

وبالنسبة لأهمية هذه الفئة فإن محتوى دليل المعلم وكتاب التلميذ يستوجب إعداد هذه الفئة واستمراريتها في التواصل، وذلك لأن خطوات نهج القراءة المبكرة، وعددها سبع خطوات ،تقوم على إجـراءات تفوق الثمانين إجراء، هذه الإجراءات تمثل الضابط الأساسي لنجاح الخطوات.

ومن الطبيعي أن آلية تنفيذ برنامج نهج القراءة المبكرة تتطلب الإلمام الكامل بإجراءات خطوات النهج حيث جرى التدرب عليها بقيادة مدربين من ذوي الكفاءة من منطلق أن التغاضي عن إجراء أو اسقاطه هو بمثابة خلل قاتل يقود إلى الفشل وفي أحسن الأحوال التأخير الزمني بالنسبة للتلاميذ الذين يتعين عليهم إتقان القراءة بعد أن يكون معلموهم قد نمو فيهم «مجموعة متسلسلة من المهارات الجزئية والقدرات المعرفية التي يُعتقد أن على الطلبة إتقانها في توجههم نحو إتقان أهداف منهجية بعيدة المـدى»، وهذه من الاشياء التي تضاعف مسؤولية المدرب الذي عليه أن يطور مهاراته، ويمتلك زمام المبادرة في القيام بدراسة الواقع وتحليله بناء على أسس علمية تقي من خطر الإنزلاق إلى فخ الاحكام والانطباعية أو المبنية على ردود فعل آنية.

ثالثا- مدربو المعلمين:

هذه الفئة أكبر من سابقتها عددا وهي التي تنخرط في برامج تدريب رسمية لا تزيد عن عشرة أيام في الجزء الأول أو النصف الأول من العام الـدراسي، ومثلها أو أقل للنصف الثاني لكي تبقى هذه الفئة على اتصال مع النهج طوال العام الـدراسي، من خلال المتابعة المستمرة بحسب ما تحدده الادوات المخصصة لذلك، وفق خطة مكتوبة ومزمنة يطلع عليها المـدرب في قاعات التدريب، وبالنسبة لهذه الفئة من الضروري الاشارة إلى انها ومن خلال آلية التواصل المتبعة مع العاملين على تنفيذ ومتابعة برنامج نهج القراءة تعمل على استغلال قنوات التواصل للظفر بامتيازات تقودها لتبوء مراكز أعلى في حلقات النهج تدريبا واعدادا، كما ان هذه الفئة تم اختيارها من شريحة العاملين في الميدان التربوي من معلمين وغيرهم من حملة مؤهل جامعي تخصص لغة عربية أو قرآن واسلامية، وبحسب انشطة الدليل الذي يتدربون عليه فإن عليهم نقل خبراتهم إلى المعلمين مباشرة.